الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

ايار

كان الشهر الثالث من السنة الرومانية قبل الحساب اليولي ، ومن ثم اصبح الخامس من السنة حتى اليوم ، ولفظه في العربية يقال انه من اصل بابلي بمعنى « الاشراق » ومنهم من يرجعه الى اصل فارسي بمعنى « الربيع » . فيه تلبس الطبيعة اجمل زخارفها وتتزين بابدع حلاها من خضرة وزهر ورياحين ، يقابله باللغات الفرنجية « مه » او « مايو » من « مايوس » اللاتينية المنسوبة الى الالهة « مايا » ام عطارد ورمز الارض الخصيبة . كان لها عيد في مطلعه ، وفي ٢ منه كانت تختتم اعياد الآلهة فلورا ربة الزهر . ولعلّ تلك الاعياد هي الاصل لما لا يزال يجري حتى اليوم في اكثر الاصقاع خلال شهر ايار من الحفلات اللطيفة المسماة « اعياد الازهار او حرب الازهار » . ومن اول عهد الانتداب شهدنا هذه الاعياد يحتفل بها في بلادنا احتفالات جميلة ، نخص منها بالذكر : الاحتفالات التي تقام كل عام في العاصمة بحلة الزيتونة على اكمل نظام وتشهدها الجماهير . وكان الاقدمون يتطيرون في ايار من عقد الزواج مخافة ان يحل بالمتزوجين فيه مكروه لانه كان عندهم شهر الموتى ، ولا يزال بعض الاوربيين حتى اليوم يصدق هذه الخرافة ، وقد رأيت في بلادنا من ينهج نهجهم في تصديقها .

ولايار صورة رمزية في قصر اللوفر تمثله بشكل رجل متوسط العمر يلبس ثوباً فضفاضاً بكمين واسعين وعلى رأسه سلة ملأها باجمل الازهار وازهاها .

* * *

وليس ايار عند العامة في لبنان بالاسم المستحب فاستبدلوه بـ « توار » ومنهم

من لا يعرفه الا بهذا الاسم فيقولون: « نوار نوّر الدنيا » اي اضاءها ، فكأنهم شقوه من النُّور اي الضياء او الاشراق لزهر شمسه وشدة لمعانها ، ولعلهم اخذوه من « النَّور » بمعنى الزهر لانه عندهم شهر الازهار ولاسيما الورد كنيسان في الساحل ، ومن اقوالهم في ذلك : « في نوار الورد اقعد بالفي وتذكر ايام البرد »

وتتناقل العامة في لبنان عن لسان الورد في ايار البيتين التاليين :

انا الورد ، انا سيّد كل الزهر شوكي سلاحي ، ونايل رتبتي بالقهر
بغيب عنكم بينة، وبطلع عليكم شهر. ومويتي في قاقصكم طويل الدهر

ولم يبق الورد في لبنان مختصًّا بشهر دون سواه لان اجناسه التي تزهر في كل شهر من شهور السنة، حتى في الشتاء باعالي الجبال، قد تكاثرت بما جيء منها من الخارج . لكن هذه الاجناس ليست كالورد « الجوري » الخاص بشهر ايار والمعروف في لبنان بجمال منظره وطيب رائحته . وهذا الجنس من الورد يحبه اللبنانيون ويكثرون من زرعه في حدائقهم ، وكان القدماء يأخذون من قضبانه مواسير لغلايينهم بعد ثقبها بسفود من حديد من الطرف الواحد الى الآخر ، وكان للامير بشير في جزار قصره ببيت الدين حديقة جميلة منه اقيم عليها خادم خاص يتعهدها ويقطع منها المواسير للغلايين الاميرية ويعنى بثقبها وتجفيفها .

ومن هذا الجنس من الورد يستقطر اللبنانيون العطر المعروف « بماء الورد » فيتهادونه ويحفظونه في القماقم لينثروه على الناس في حفلات الاعراس والاعياد وعلى الرؤساء والحكام عند زيارتهم لهم او لدى مرورهم في قراهم ، ولينضحوه بما يعدون في منازلهم من مرطبات وقهوة وحلويات تجميلًا لطعمها ورائحتها . ولهم في استقطاره طرق بسيطة سهلة توارثوها . منها : ما يجرونه بانبيق خاص من التنك صغير سهل الاستعمال ، ومنها ما يجرونه بقدر من نحاس يربطون على فيها قطعة من قماش شفاف يضعون فيه الزهر وفوقها الغطاء يملأونه بالجمر فيخرج بالحرارة من الزهر بخار يتكاثف ويصير ماء هو ماء الورد المعروف .

وعلى هذا النحو يستقطرون عطر زهر الليمون بانواعه من برتقال ومندرينا وحلو وحامض ويستعملونه كماء الورد . وقد يتناولونه علاجاً في بعض امراضهم لاسيما في « الرتاب » وما يسمونه « وجع القلب »

ويستعبون في ايار من مواليد الماشية « عجول البقر » فيقولون : « لا تقتني الا عجل نوار » ، وذلك لان العجل المولود في هذا الشهر يستقبله الطقس الدافئ ويتوافر لامه الكلأ الاخضر عاماً فتدر له الحليب الغزير طعاماً فينمو ويشتد ويشب ثوراً مستجمعاً محاسن جنسه وكمالاته .

وللعامة من اللبنانيين عبارات مأثورة توذن بمهارتهم في التمييز بين الثيران والاستدلال من سنها ولونها وتركيب اعضائها على ما تصلح له من الغايات ، من ذلك قولهم : « اشقر بقر لا تشتري وان صح عندك لا تبيع » ومعناه ان الابقار الشقراء لا يصح منها الا القليل النادر ، فالاولى ان لا يقتنى منها الا ما اثبت الاختبار صحته . و« ان صبت عليك الارض ادر لها هروشها » اي ان الابقار المسنة هي اصلح للحراثة في الاراضي الصلبة من الابقار الفتية . و« ما في لحم الا في العتيق » ويريدون به ان اللحم الدسم الكثير لا يكون الا في الابقار البالغة اشدها والعتيقة الايام . و« استطول وذباح واستقصر وفلاح » ومعناه ان الابقار الطويلة السواعد هي اصلح للذبح وقصيرتها اصلح للحراثة .

ويتخوفون « برد ايار » لسوء اثره في الاجسام والمزروعات والمحاصيل ومن اقوالهم في ذلك . « برد نوار خراب الديار »

اما المطر في ايار فيتوقعه الفلاح اللبناني بذاهب الصبر لجزيل فائدته للزروع ومن اقوالهم في مطر ايار : « المطرة في نوار بتموّن الفلاح وبقراته وبتزوج ولاده وبناته » . واذا حصل جفاف في ايار خيف منه أن يصوح الزرع ويبيس هبّ الاهلون الى زيارة الكنائس وانارتها بالزيت والشموع رافعين الابتهالات الى الله بقلوب خاشعة لكي يمنّ عليهم بالغيث . وربما نشر رؤساؤهم الدينيون المناشير يفرضون فيها الصوم والصلاة واقامة الزياحات كل مساء لاجل استهطال الغيث . وفي هذه المناسبة يجتمع الاولاد كل عشية ويحملون تمثالاً يؤلف من عود عليه بعض الملابس ويطوفون به في الشوارع وهم ينشدون النشيد الآتي :

يا أم الفيض غيضينا شتي في اراضينا
شتي في اراضي الزرع ليكبر وينشينا

ويريدون بأم الفيض او « الغيث » وهي السيدة العذراء عليها السلام التي

خص شهر ايار بتكريمها وسمي باسمها «شهر مريم» او «الشهر المريمي». واللبنانيون معروفون منذ القدم بصدق تعبدهم لهذه السيدة وبالتجائهم اليها في كل ملمة لاسيما في ايار شهرها، وقد تعودوا ان يقيموا لها في اوله وآخره الطوافات الحافلة بايقونتها في شوارعهم او حول كنائسهم بين صنوف الخضرة والرياحين التي يتطوعون لجمعها كبارًا وصغارًا من الحدائق والبراري. وفي بعض القرى يكتفون باقامة خيمة في دار كنيسة الرعية او في الساحة العامة يشيدون فيها مذبحًا تعطى عليه البركة بايقونة السيدة في اول الشهر اواخره تبعًا للعادة المكانية.

وفي ايار يبدأون في الساحل باستغلال الفواكه والبقول والخضر كالمشمش والتفاح والخوخ والكوسا والبندورة واللوبياء والخيار وما شابه، ويأخذون في الجبال بزرع اغراس التبغ او «شتله» وفي ذلك يقولون: «في نوار خيارة ومشمشة وشتل تتن» و«في عشره نوار خوخة وسنبلة وزر خيار.»

وفي ايار يحين زمن استثمار «الشرانق» او «قطفها» فيتبادل المربون المعونة على ذلك، ويضرب المربي لقطف موسمه موعدًا يدعو اليه اصحابه وجيرانه ويعدّ لهم الطعام ويشتري الحلاوة، فيلتئمون عنده جماعة ويجمعون الشرانق عن «الشيح» وهي الاغصان التي توضع للدود لتحيك عليها فيالجها بعد تبييضها وربطها وتكون صنفين: «الكليلة» وهي التي توضع بالعرض على موائد الدود بين الاطباق، «والخياطة» وهي التي توضع من الوراء لصيق الحيط او الجدار.

وحلاوة القطف كثيرًا ما يشترونها مبادلةً بالفيالج ثقلًا ببعض اثقال. والحلاوة طعام تقليدي في قطف مواسم الحرير لا بد منها. ويقولون في ذلك: «قطاف بلا حلاوة سبب للعداوة.»

ولا يكون زمن قطف الفيالج واحدًا في جميع المناطق اللبنانية ولكنه يختلف باختلاف علو الامكنة عن سطح البحر ولهذا بينما يقول اهل الجبال: «في ايار احمل منجلك وغار» و«في ايار تقول القز اقبر بيك والحقني» يكون اهل الساحل قطفوا قزهم وباعوا فيالجها.

الامير بشير الكبير مضيف لامرتين

قصر الامير بشير كما كان زمن زيارة لامرتين

ويظهر على اليسار قصر الامير قاسم الذي تحوّل في ما بعد الى ثكنة للدراوين ولم يبقَ منه اليوم الا الاقبية المتداعية . وفي وسط الصورة تظهر دير القمر

بيروت في عهد زيارة لامرتين

اللادي استير ستانهوب